لقربها من قناة السويس. امّا اعطاء بريطانيا وعد بلفور في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٧، وانتهاجها، رسمياً، سياسة تحالفية مع القوى الصهيونية، فيأتي، ايضاً، في الاطار السياسي الاستراتيجي، الذي صقل منهاج السياسة البريطانية نحو المنطقة، مع نهاية القرن الماضي ومطلع القرن الحالي(٢٧).

لقد رحلت الغالبية الساحقة من القوى الاستعمارية التي انطلقت لأسباب مختلفة (منها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والاستراتيجية) واستعمرت أجزاء مختلفة من بقاع الارض، بعد ان اصبحت المستعمرات تكلفها أكثر ممّا تدر الربح عليها، أو انتهت الاسباب الاستراتيجية لامتلاكها اسلحة الدمار الحديثة بعيدة المدى، او اكتشفت أساليب استغلال اقتصادي أكثر ملاءمة، من خلال ما يعرف بالتبعية الاقتصادية في العالم المعاصر، ونتيجة للخسائر الفادحة التي مُنيت بها على أيدي حركات التحرر المختلفة، التي قامت بها الشعوب المستعمَرة.

أمّا الثاني، فهو سيطرة خارجية استعمارية استيطانية. ومن الامثلة النموذج، في العصر الحديث، الاستعمار الاستيطاني الفرنسي في الجزائر، والصهيوني في فلسطين. وتقوم أسس هذا النوع من الاستعمار على انكار حقوق اصحاب الارض الشرعيين، أو طردهم من على ارضهم والسيطرة عليها. ويختلف هذا النموذج عن النموذج السابق، في ان السابق يقوم، اساساً، على الاستغلال، بينما الاستعمار الاستيطاني يقوم، أساساً، وباختصار، على تصفية ملكية الشعب الاصيل المادية. وقد نجح هذا النموذج في الولايات المتحدة الاميركية خلال قرون خلت، وذلك من طريق سيطرة المهاجرين الاوروبيين، بشكل رئيس، على العالم الجديد (اميركا)، وتصفيتهم لأصحاب اميركا الاصليين، جسدياً، ومادياً (وهم الهنود الحمر، كما هو معروف).

كما ويختلف الاستعمار الاستيطاني الصهيوني في فلسطين عن الاستعمار الاستيطاني الفرنسي في الجزائر في وجوه متعددة، اساسها ان المستوطنين الفرنسيين في الجزائر كانوا يعرفون ان لهم وطناً، بامكانهم الرجوع اليه، اضافة الى بنيتهم المادية القائمة على أساس الفوائد الاقتصادية والامتيازات التي يحققونها. امّا المستوطنون الصهيونيون لفلسطين، فان بنيتهم النفسية ـ المادية تتمايز عن مثيلتها الفرنسية. فهم مهاجرون الى فلسطين من مختلف اصقاع العالم، جمعتهم، في فلسطين، أساب متماثلة ومختلفة عن المستوطنين الفرنسيين في الجزائر؛ فهم لا يعترفون بوطنهم الام (الذي قدموا منه)، ناهيك عن الاسس والدوافع التي قادتهم الى الاستيطان في فلسطين، اضافة الى حجم القوى الداعمة لهم (جميع القوى الاوروبية تقريباً). اضافة الى ذلك، لقد عمد المستوطنون الصهيونيون الى قطع اواصر علاقتهم بشكل عام، تربوياً ومادياً وجغرافياً، مع الأوطان التي هاجروا منها الى فلسطين بناء على التوجّه العام للحركة الصهيونية والقوى الداعمة لها، ونتيجة لصعوبة الظروف التي عايشها اليهودي في اوروبا. كما ويتشابه بعض دوافعهم للاستيطان في فلسطين مع المستوطنين الاوروبيين في اجزاء أخرى من العالم، من حيث الامتيازات الاقتصادية، والاجتماعية، التي تقدّمها اليهم حكوماتهم.

لا نريد الخوض في تفاصيل أكثر ممّا تقدم حول هذه النقطة، كي لا نخرج عن الاطار العام. وتكفي الاشارة، هنا، الى الذرائع التي اقنعت بها الحركة الصهيونية هؤلاء في ان فلسطين «بلدهم» وليس بلد أي شعب آخر، والتي تراوح بين الذرائع الدينية والعلمانية والقانونية وذرائع الامر الواقع(٢٨).

وهكذا نستطيع ان نلحظ التمايز الواضح بين ذرائع، ونوعية، هذا العدو، مقارنته